الحمد لله الذي أرسل نبيه بالدين الخالد المبني على أوضح البراهين وأحكم الشرائع ، أحمده سبحانه وهو القوي العزيز ، كتب الغلبَة والنصرة لدينه ولعباده المؤمنين ، وأصلي وأسلم على من بعثه الله رحمة للعالمين ، فبلّغ الرسالة ونصح الأمّة وجاهد في الله خير جهاده حتى أتاه اليقين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد .

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله فإنّ من اتقى الله وقاه ومن توكل أيده ورعاه .

أيها المسلمون /

لقد كان آخر ما نزل على رسول الله ﷺ قولُه تعالى :

" الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا "

نزلت عليه وهو قائمٌ بعرفة يخطب الناس في أكبر مجمعٍ للمسلمين ، وما مات عليه الصلاة والسلام إلا وقد أكمل اللهُ له الدين ، وأتمّ عليه النعمة ، وتركنا رسول الله ﷺ على بيضاء ناصعة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ولقد سار على نهجه الصحابةُ الأطهار ثم التابعون الأبرار وكانت للإسلام القوة والجولة ، فانتشر في أصقاع المعمورة ، ولم تمض أعوامٌ قليلة إلا وقد وصل الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها ، وعاش المنتسبون إليه أعز حياة ، وأكرم حال عرفته البشرية في ذلك الزمان ، ودخل النّاس في دين الله أفواجاً لأنّهم رأوا عظمة الإسلام في نصوصه ، وكمال تعاليمه وأحكامه قد تمثّلها أفرادُه الذين ينتسبون إليه .

دخلوه طوْعاً ورغبة ، وشعروا بالحياة الطيبة بعده ، وتحولت حياتهم إلى الخير ، وعمّ العدل مجتمعهم ، لأنّ لهذا الدين الأثر العظيم في النفوس ، والشعور بالعزة لأتباعه ، والحياة الكريمة للمنتسبين إليه ، ثم ما لبث أنّ هذه القوة ضعفت ، وذاك العز قد ذبُل نتيجة ركون المسلمين للدنيا ، واختلاف قلوبهم ، وتفرق كلمتهم ، فتسلط عليهم الكفّار ، وعلا عليهم الفجّار ، وصارت الدولة لعَبَدة الأوثان .

أيها المسلمون/

إنّ الرغبة في عودة مجد الإسلام وعزه أمنية كل مسلم ، وغاية كل غيور على دينه .

وإذا ما أراد المسلمون العودة لهذا العز وتلك الكرامة فليس ثمّ سبيلٌ إلا مراجعة دينهم ، والتمسك بتعاليمه وتوجيهاته وآدابه ، فاللهُ قد بنى هذا الكون على سننٍ لا تتغير ولا تتبدل ، فمن أتى بها حقق الله له مقصوده ، وأتمّ له مراده .

ولقد مرّ بالإسلام وأهله أزمات عدة ومحن كثيرة وعلا الكفر على الإسلام فترات وفترات ولكن ما لبث الإسلام إلا أن عاد إلى مجده ، وقويت شوكة أهله ، وعز المؤمنون المتمسكون بدينهم " وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ "

لقد جعل الله لهذا الدين ميزة الديمومة والثبات ، فلئن ضعف في فترة من الفترات ، أو في قُطرٍ من الأقطار ، فتبقى صفة البقاء له راسخة لأنّ هذا قضاء الله له وهو قضاء لا يتبدل ولا يتغير ، يقول الله في محكم تنزيله :

" وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ "

ويقول سبحانه :

" وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ "

فالبقاء له ، والرسوخ سمته ، وما يحصل من غلَبة للباطل إنّما هي صولة عارضه ، وحدَثٌ زائل لا محالة .

لقد صوّرت لنا كثيرٌ من الآيات سعي الكفّار لإطفاء نور الإسلام ، وصد النّاس عنه ، وتشويه صورته الناصعة ، فخاب سعيهم ، وضل سبيلهم ، وخسر رهانهم ، وبقي الإسلام شامخاً عزيزاً منيعاً ، يقول الحق سبحانه:

" يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ"

فطمأن اللهُ بهذه الآية ومثيلاتها عبادَه المتقين بأنّ العاقبة لهم ، والنصر حليفهم ، وأنّ الأرض يورثها عباده المؤمنين ليقيموا شرع الله فيها ولكنّها بشائر مشروطة بعبادته والبعد عن الشرك به ، وتأمّل في دلائل الآية الآتية لترى المؤكِدات المطمئنة للمؤمنين مع شروط الفوز بهذا الوعد الكريم ، يقول الله تبارك وتعالى :

" وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ "

فالوعد بالاستخلاف مشروطٌ بعبادته العبادة الحقة التي يكون صاحبُها مخلصاً لله فيها ، وبعيداً عن شوائب الشرك كله بجميع أشكاله وصوره .

وفي بشرى عظيمة من رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام يُبشّر الأمة بالسناء والرفعة والتمكين وبلوغ هذا الدين ما بلغ الليلُ والنهار ، فعن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

" ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز به الإسلام وأهله، وذلاً يذل الله به الكفر "وهو حديث صحيح رواه أحمد.

إنّ هذه الآيات والأحاديث وغيرها الكثير مما يطمئن المؤمن ، ويعطيه قوة في المضي بهذا الطريق العظيم ، وتدفعه نصوصُه لأن يكون من جند الله تعالى الذين ينصرون دينهم لأنّ سُنة الله بيّنة ، وأمره واضح في أنّ من تخلى عن نصرة دينه أنّه هو الخاسر ، وأنّ من تراجع عن خدمته أنّه هو المحروم .

عباد الله/

إنّ بعض النّاس قد غلبت عليه النظرة التشاؤمية والهزيمة النفسية فتجده يظن أن الإسلام نجمه إلى أفول ، وأنّ قوته إلى ضعف ، ولو سبر الواقع ، وصدق في الإنصاف لوجد أن الإسلام في صعود ، ونوره إلى سطوع وإليك بعض البراهين :

هل تأمّلت في الإعداد الهائلة التي تؤم الحرمين الشريفين كل عام ؟

هل متعّت ناظريك في شاشات التلفزة وهي تنقل الصلوات وقد وقف الآلاف والملايين صفوفاً في صلواتهم ؟

وعدْ بمخيلتك الأن إلى حيّك الذي تسكنه وإلى أعداد المساجد والمصلين الذين يؤمونه كل فرض .

هل كانت المساجد بهذه الكثرة !

وهل كان المصلون بهذه الأعداد !

لا تقل البيوت مليئة بالنائمين عن الصلوات ، وكثير من الشباب قد هجروا بيوت الله ، فسنّة الله باقية أنّه لا بد من مهتد وضال ومطيع وعاص لتظهر بعض دلائل ربوبيته ، وتفرده بالأفعال ولكن يبقى أنّ الإقبال على الطاعة أعظم من ذي قبل لا يشك بهذا أحد .

وانظر لحلقات التحفيظ وإلى المناشط الدعوية وإلى الأعمال الخيرية في كل بلد إسلامي تجد عظائم الأعمال التي يقوم بها خيار الأمّة .

وإذا انتقلت إلى العالِم بأسره وجدت الأعداد الهائلة التي تدخل الإسلام يومياً حتى أصبحت أوروبا على مشارف أغلبية إسلامية ، بل وصلت الدراسات الميدانية المستقبيلة إلى وصول المسلمين في روسيا عام ٢٠٥٠ إلى خمسين مليوناً مسلم مما يجعلها بلداً إسلامياً ذو أغلبية مسلمة ، وقد شارك رئيس دولتهم قبل أسابيع في احتفال إسلامي في إشارة إلى قوة الإسلام وفرض نفسه على هذه الدولة .

إنّ هـذه الأمـور يـا عبـاد الله - وغيرهـا - تجعـل المسـلم مطمـئن لدينـه مستبشـراً بظهور هذا الدين .

أيها المسلم /

إنّ مـن سُـنّة الله في كونـه أن جعـل فيـه سُـنّة التـدافع بـين الخـير والشـر والحـق والباطـل لحِكـم كثـيرة لـيس هـذا مجـال بسـطها ، في حـين أنّـه لـو فقـه هـذه السُـنّة وبقائهـا تنحـل عنـده بعـض الإشـكاليات في الواقـع مـن ظهـور الكفـر وأهلِـه فـترة من الفترات وحيناً من الدهر .

لأنّ هـذا الظهـور لـيس عامـاً أو دائمـاً وإنّمـا هـو ظهـور وقـتي وذلـك حـين ضـعف المسـلمين وتفـرقهم ممـا جعـل الكفّـار يطمعـون في السـيطرة علـيهم ، والسـعي في إضـعافهم ، وقـد حصـل لهـم في عصـرنا بعـض مـايردون ولكنّهـا ليسـت دولـةٌ دائمـةٌ لهـم ولا غلبـةٌ مسـتمرة في جـانبهم ، لأنّ الإسـلام - كمـا مـرّ ذكـره - في ازدياد وقوة وانتشار غير مسبوق .

عباد الله/

إنّ الهزيمـة الداخليـة الـتي يعيشـها بعـض المسـلمين هي خسـارة فرديـة لصـاحبها ، وتفويـت لفرصـة نشـر الـدين والخـير عـن طريقـه وإلا لـو نظـر هـذا للواقـع أنّ هنـاك فئـام مـن رجـال الأمّـة وشـبابها في جهـد عظـيم وعمـل دؤوب لنشـر هـذا الدين العظيم لمات كمداً على حاله وعظيم خسارته .

تأمّـل في حـال العلمـاء والـدعاة الصـادقين الـذين ينشـرون دعـوة الإسـلام وانظـر في جهودهم وأعمالهم المباركة .

فهـذا داعيـة يجـوب الأرض شرقـاً وغربـاً فينشـر هـذا الـدين ويكتـب الله لـه القبـول ويجري على يديه من الخير ما يُغبط على مثله .

وآخـر قـد تـولى نشـر كتـاب الله تعليمـاً وتدريسـاً وتأليفـاً وتحفيظـاً ، وتسـمع بمئـات بـل وآلاف الحـافظين في بـلاد الإسـلام كـل عـام قـد فـازوا بنـور الله يسـكن فـؤادهم بجهـود رجـالٍ مخلصـين يعملـون الليـل مـع النهـار لنشـر هـذا الكتـاب العظيم .

فهذه الأعمال والبشائر تجعل المرء يوقن يقيناً لا يعتريه شك أنّ الإسلام هو الدين الباقي والمنهج الخالد وأنّ الناصح لنفسه هو من يسعى في نفعها بالمشاركة في نشر هذا الدين العظيم ، كيف وهو يقرأ البشائر في سنة النبي عليه الصلاة السلام التي تُبشّر بانتشار الإسلام ودخوله كل بيت ، ففي صحيح من حديث ثوبان رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ :

" إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض.."

فملك الأمّة سيبلغ الأرض كلها ، ونور الله سيبلغ الأقطار . ويبقى السؤال : ما نصيبك من نشر هذا الدين العظيم ؟

أيها المؤمنون /

ومما ينبغي الإشارة إليه أنّ النصر الذي يروم إليه المؤمن ليس شرطاً أن يكون على مستوى الأمّة بل لو انتظر المرء لتتنصر لأمّة لربما طال به الزمن ولم يتحقق له هذا المقصود ، وليس شرطاً أن يراه بعينه ، ولكن ليبدئ المرء بنصرة الله في حياته الخاصة ثم في أهل بيته ثم في من يستطيع نصحهم فإذا فعل ذلك فلا شك أنّه قد أدى جزءاً كبيراً مما أوجبه الله عليه ثم إذا علت همته وأصبح مشتغلاً في نفع الأمّة رفع الله درجته وبارك له في حياته وصار إماماً من أئمة الخير الذين يُقتدى بهم .

فاستعينوا بالله على هذا الخير ، وابذلوا جهدكم ، فاليوم يوم التجارة ، والسوق قائمة ، والوعد صادق ، والرب كريم .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

" وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا "

بارك الله لي ولكم ...

.....

(الخطبة الثانية)

الحمد لله وعد عباده المتقين الصابرين بالنصر والتمكين ، وأصلي وأسلم على أعظم من نصر هذا الدين وعلى آله وصحابته الغر الميامين وبعد

عباد الله /

إنّ من مقتضيات النصر والتمكين للمسلمين ، الصبر على دينهم وأوامر ربهم ، والبعد عمّا يخالف أمر الله ، فالنصر والتمكين إنما هو لأهل الإيمان المتّبعين لشرع ربهم الرحمن فقد قال الله تعالى في محكم البيان :

" وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ "

فامتثِل الإيمان في نفسك لتظفر بوعد الله بنصرك .

والنصر - أيضاً - إنّما يكون لمن نصر دينه ، وجاهد في الله حق جهاده ، وقدّم أوامر الله على أوامر البشر ، قال تعالى :

" وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ *الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ "

فتأمّل كيف جعل الله نصره لهم مشروطاً بإقامة هذه الشرائع العظام من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والنصر والتمكين إنما جعله لأتباع الرسل السائرين على دربهم والمقتفين آثارهم قال تعالى :

" إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ "

فاقتفِ تلك الآثار ، وسرّ في درب الأطهار ، تفز بوعد الله الكريم .

هذا وصلوا على البشير النذير...